وسرعان ما أعلن اناتول عزمه على الزواج . وما انقضت المدة القانونية حتى سار في صحبته اثنان من معارفه . هما المسيو ليون كان والمسيو كالمان ليفي يريدون دار الحكومة في سكون وسكوت . وكان مرتدياً ملابسه العادية . يمينه عصاه وعلى رأسه قبعة خفيفة . وهكذا عقد له بعد قليل على من واسته في مرضه ووالته في كربته وشيخوخته

امبراطور النمسا والشبح

ملحة تاريخية

ان الواقف على التاريخ يعلم ان اغسطس الثاني أمير سكسونيا الملقب بالقوي (سنة ١٦٧٠—١٧٣٣) تبوأ عرش بولونيا بعد وفاة ملكها سوبيسكي عام ١٦٩٧ . وقد بذل قبل ذلك مساعي عديدة للوصول الى ذلك العرش الامر الذي شغل في ذلك العهد وزارات اوربا وأقض مضاجعها وحاول جميع ارباب السلطات تحويله عن هذه الفكرة فذهبت مساعيهم عبثاً وانفرد امبراطور النمسا جوزيف من بينهم بتعضيده ومؤازرته على بلوغ أمنيته

وقد لجأ رجال السياسة اذ ذاك الى الحيلة للتخلص من أغسطس وصرفه عن أفكاره واليك هذا البيان التاريخي المأخوذ من مذكرات امبراطور النمسا

بينما كان اغسطس مستغرقاً في نومه بعد ليلة قضاها كعادته في السهر والقصف ايقظه خادمه عند الساعة الرابعة صباحاً وقال له : ان الامبراطور يدعوك في هذه الساعة اليه على عجل فدهش الامير واضطرب لانه فارق الامبراطور مساء البارحة صحيحاً معافى ولكنه لما مثل بين يديه ألفاه مضطجعاً في سريره بين حي وميت غائر القوى شاحب اللون

فصرخ اغسطس قائلا : ماذا حدث لجلالتكم وماذا دهاك ؟

فاجاب الامبراطور بصوت متهدج : حدث لي حادث مريع وارجح اني

سأموت قريباً والذي يزيدني اسى وحزناً انه تنتظرك مصيبة فادحة فاجلس واسمع ما أرويه لك

فجلس الامير مضطرباً قلقاً . فقال الامبراطور : رأيت في هذه الليلة رؤيا مزعجة مريعة : ذلك انه بعد السهرة دخلت سريري وبعد مرور ساعتين شعرت بان شخصاً دخل غرفتي فظننته أحد الخدم واردت ان ادعوه ولكني سمعت صلصلة سلاسل حديدية فتفرست فرأيت شبحاً مرتدياً ملابس بيضاء لامعة كالثلج وقد خاطبني بصوت رهيب متوعداً فقال : يا يوسف امبراطور النمسا اصغ لما اقول : انا روح أثيمة معذبة بالعذابات الابدية في جهنم وقد ارسلني اليك حارسوك القديسون وحُماتك لاحذرك من شر مستطير واسدي لك النصيحة لتقلع عن السقوط في تلك الهوة التي تحفرها يدك بصداقتك لامير سكسونيا فتقلع عن هذه الصداقة والتمس اغسطس عنك والا فاستعد للعذابات الابدية . واذ ذاك تضاعفت صلصلة السلاسل . ولا تسل عما اعتراني لدى سماعي هذا الوعيد فقد غدوت في عداد الاموات وارتبط لساني وخارت قواي . ثم استطرد الشبح الكلام فقال: مالي أراك صامتاً يايوسف!! فهل نفسك رخيصة عليك لا قيمة لها — لم تريد بيعها بيع السلع البخسة ؟ اصغ . اصغ لما اقول : سأعود اليك بعد ثلاثة ايام لسماع الجواب — قال الشبح هذا واختفى وتركني بين حي وميت من شدة الوجل . والآن استعطفك ايها الاخ العزيز ان ترفض تاج بولونيا وفي هذا خلاص نفسك ونفسي

فقال اغسطس: وهل أنت موقن يا صاحب الجلالة بانك كنت في يقظة ورأيت الشبح وسمعت كلامه ؟ أم ان ذلك اضغاث احلام جسمها لك الوهم

فاجاب الامبراطور : اؤكد لك اني كنت مستيقظاً وسمعت ما رويت لك

— ان ما يدهشني في ذلك حمل الروح لتلك السلاسل وصلصلته بها ومن جهة أخرى يصعب القول بان احداً حاول المزاح مع جلالتكم بهذه الطريقة المنكرة

— من يجرأ على فعل ذلك ؟

— ان الشبح سيعود اليك بعد ثلاثة ايام واني ارجو جلالتكم ان تكتم هذا

بعد سنة على ولادته لم اذكر نبذة من تاريخ حياته وأعماله وكان الواجب على مواطنيه أن يحتفلوا باحياء ذكره ولكن العربيين سبقوهم الى هذه المأثرة فقد كتبت المجلات العلمية عنه مقالات ضافية

لقب بأبي نظارة من بدء نزوله الى ميدان العمل الصحافي واسمه الحقيقي يعقوب ابن روفائيل صنوعه . ولد من عائلة يهودية في القاهرة في ٩ فبراير عام ١٨٣٩ وقد تلقى مبادىء العلوم في مدرسة ابتدائية . وكان والده من المقربين لاحمد بكن باشا حفيد محمد علي باشا جد العائلة العلوية المالكة بمصر وقد لاحظ الباشا علامات النجابة بادية على وجه الغلام فأوصله الى ليفورنو في ايطاليا لاتمام علومه حيث أقام ثلاث سنوات يدرس اللغات والآداب والعلوم وبنا عاد الى مصر وجد أباه وبعض اخص اليه قد توفيا فاخذ يدرس اللغات الحديثة وبواسطة علاقات والده السابقة استطاع الوصول الى تدريس بعض امراء العائلة الخديوية

وابتدأ دور حياته الثاني على عهد الخديوي اسماعيل باشا (١٨٦٤ ـ ١٨٧٩) ذلك الخديوي الذي خطا خطوات واسعة في سبيل ترقية مصر وقام بمشروعات هامة كانت سبباً في ايقاظ كامل البلاد بالديون الفادحة ولكنها ساعدت مصر على الرقي ومن هذه المشروعات حفر قناة السويس (عام ١٨٦٩) ثم اعتراف تركيا باستقلال مصر (عام ١٨٧٣) وامتداد رواق سلطة مصر جنوباً الى خط الاستواء (عام١٨٧٤) وقد تناولت هذه المشروعات جميع فروع الحياة في مصر واوجدت فيها انقلاباً عظيماً وفي خلال حفر القناة أمر الخديوي بانشاء اول اوبرا في مصر ووضعت لها روايتان خاصتان وهما عائدة ووردة . وكان الخديوي يعرف يعقوب صنوعه معرفة تامة ساعدت الرجل على انشاء اول مسرح عربي في القاهرة (عام ١٨٧٠) والف له بنفسه في وقت قصير ٣٢ رواية اولاها كانت ذات فصل واحد وتدرج بها حتى جعل بعضها ذات خمسة فصول وقد انعم عليه الخديوي بلقب موليير مصر واذا اردنا تحرير حقيقة تاريخية عن التمثيل العربي في الشرق يجب ان نشير الى مارون نقاش الذي سبق الشيخ ابا نظارة في تأسيس مسرح عربي في بيروت (عام ١٨٤٠) وقد مات بموته واحياء ابن شقيقته في الاسكندرية عام ١٨٧٤ ومع هذا فان مسرح ابي نظارة كان اساساً قام عليه فيما بعد بناء التمثيل العربي بمصر . ولم يصادف مسرح الشيخ اقبالا عظيماً في ذلك الوقت لحداثة عهده في الشرق ولذلك نرى ان الشيخ

لم يواصل عمله بل جنح الى تأليف جمعيتين علميتين صغيرتين وفي عام ١٨٧٤ سافر الى اوربا ثانية وعند عودته منها الى مصر انضم الى حلقة جمال الدين الافغاني وكان لانضمامه هذا تأثير شديد على مبادئه طول ايام حياته

« الشيخ ابو نظارة »

ان جمال الدين الافغاني (من عام ١٨٣٨ — ١٨٩٧) من نوابغ الشرقيين الذين احدثوا انقلاباً عظيماً في العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث وضع اساس الجامعة الاسلامية ونفخ روحاً جديدة في الشرق أيقظ بها شعوب الشرقيين وجعلها شبحاً مخيفاً يهدد الاوربيين بالويل والثبور وعظائم الامور . ويظهر انه كان يرمي في تعاليمه الى تحرير العالم الاسلامي من نير

الاجانب وتوحيد قوة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بإنشاء جمعيات مستقلة في كل بلد اسلامي تكون مرتبطة بعضها ارتباط حلقات السلسلة ووجه اتفاقه بنوع خاص الى تحرير بلاد الفرس واضعاف النفوذ الاجنبي فيها وقد أثرت تعاليمه تأثيراً شديداً في نفوس الايرانيين ونمت في قلوبهم مع مرور الايام مما نرى نتيجته في هذه الايام في تلك البلاد

أقام جمال الدين الافغاني بمصر من عام ١٨٧١ — ١٨٧٩ وبث مبادئه هذه في النفوس ففعلت مفعولها وكان من نتائجها ثورة عرابي باشا واحتلال الانكليز لمصر ومع هذا فان تعاليمه التي بثها في النفوس سرت في نفوس كثيرين من تلاميذه وظهر منهم افراد لعبوا دوراً مهماً في تاريخ الشرق منهم المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية (من عام ١٨٤٢ — ١٩٠٥) وظهر له ايضاً تلاميذ مسيحيون نذكر منهم على سبيل المثال شاعر دمشق المشهور سليم بك عنجوري ثم تلميذه الصحافي الشرقي المعروف اديب بك اسحق (من عام ١٨٥٦ — ١٨٨٥) الذي وضع نمطاً للصحافة العربية ما زال معمولا به الى اليوم

جمال الدين الافغاني

سرت تعاليم جمال الدين الافغاني في نفس يعقوب صنوعه وكذلك تعاليم صديقه الشاب الشيخ محمد عبده الذي كان يدرسه اللغة الفرنسية وانقاد بكليته الى تلك التعاليم وانشأ في عام ١٨٧٧ جريدة نقدية باسم « ابو نظارة زرقاء » وحررها باللغة العامية المصرية ليفهمها جميع الناس فراجت رواجاً عظيماً وتخاطفتها الايدي وقد اشترك في تحريرها كثيرون من الكتاب المبرزين بدون توقيع . ومن هذا الحين غلب اسم الجريدة على يعقوب صنوعه فصار يعرف بالشيخ ابي نظارة

الشيخ محمد عبده

وقبل هذا حصل خلاف بينه وبين الخديوي اسماعيل باشا بسبب سياسته الاقتصادية التي قادت البلاد الى الخراب واستدعت تدخل الاجانب فجعل ينتقد هذه السياسة ويكتب مقالات متوالية بعنوان « شيخ الحارة » لم تخف على الخديوي فامر بقفل تلك الجريدة بعد ان اصدر منها خمسة عشر عدداً واضطر بعد قفلها الى مغادرة مصر فسافر الى اوربا ولما كان على ظهر الباخرة في الاسكندرية محاطاً بجمهور كبير من اصدقائه واتباعه وجهوا التفاته الى الخديوي الذي كان خارجاً للرياضة على شاطيء البحر ليرى عدوه المسافر الى اوربا فقال لهم ابو نظارة : لا بأس انه بنفسه سيسافر بعد عام من مصر وقد تمت نبوءته هذه بالحرف الواحد فان دول اوربا اتفقت على خلع الخديوي اسماعيل عام ١٨٧٩ واستوطن الشيخ مدينة باريس وواصل عمله الصحافي واصدر جريدته عام ١٨٧٨ تحت اسماء مختلفة وقد راجت رواجاً عظيماً حتى انه كان يطبع منها خمسة عشر الف نسخة وهو عدد ليس بالقليل بالنسبة لعدد القراء الشرقيين في ذلك العهد وقد اضطرته المراقبة على الصحف الى تغيير اسم جريدته مراراً فاصدرها باسم « ابو صفارة » و « ابو زماره » و « ابو المزائم » و « الوطني المصري » وكان شعار جميع هذه الجرائد « مصر للمصريين » ولبث يحرر فيها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ثم عبد الله نديم الذي توفي عام ١٨٩٧ . وعام ١٨٨٧ أصدر ابو نظارة اول جريدة عربية مصورة .

وتداخل الشيخ في باريس في الشؤون الفرنسية حيث جعل يكتب التقارير ويلقي المحاضرات ويكتب في جرائد الطان والمانن والفيغارو وغيرها وفي عام ١٨٨٦

اصدر جريدة « الحاوي » بباني لغات وفي عام ١٩٠٠ ألقى في خلال المعرض العام في باريس خطبة بعشر لغات . وأصبح تأثيره شديداً في العالم الاسلامي فتقابل مع شاه العجم وكذلك تقابل مع الخديوي عباس . ولعب دوراً مهماً مع السلطان عبد الحميد حيث عهد اليه بمهمات سياسية مع الرئيس كارنو ولوبيه . وكان على غاية الحذر في علاقاته السياسية مع الحكام وقد دعاه الخديوي عباس الى العودة لمصر فرفض ذلك رفضاً باتاً وقال : « اني لا اعود الى مصر ما دام الانكليز فيها » .وفي عام ١٩٠٢ احتفل بيوبيل مرور ٢٥ سنة على عمله الصحافي . وفي عام ١٩٠٨ سافر الى الاستانة لحضور الاحتفالات التي اقيمت احتراماً للدستور وفي ٣١ دسمبر عام ١٩١٠ اصدر اخر عدد من جريدة « ابي نظارة » ومع انه بلغ سن الشيخوخة فانه واظب على عمله الصحافي ولم يوقفه عنه غير فقد بصره وقد توفي في ٣٠ دسمبر سنة ١٩١٢ بعد جهاد اربعة وثلاثين عاماً في مضمار الكتابة والسياسة

خاطبونا بالتلفون

قالت احدى الجرائد الروسية : للاميركان اساليب غريبة في الابتكار وطرق لا تخطر على بال في اكتساب الاموال ومن ذلك ان احدهم أسس من عهد قريب في نيويورك شركة كبرى برأس مال كبير اسمها « خاطبونا بالتلفون » حشد فيها جمهوراً من المستخدمين المبرزين في كل فن ومطلب وهذه الشركة تقوم بالاجابة على كل سؤال يوجه اليها بالتلفون لقاء أجر محدد وقد نجحت نجاحاً باهراً واننا على سبيل الفكاهة نورد بعض الاسئلة التي وردتها واجوبتها عليها ومنها يستطيع القارىء ان ينتفع بها في كثير من ظروف الحياة ويكون في غنى عن توجيه الاسئلة الى تلك الشركة

س — هل تستطيعون ارشادي الى طريقة مضمونة استطيع بواسطتها الحصول على ثروة واسعة ؟